**المادّة/ أوروبا والوحدة العربيّة ---------------------------------- السنة أولى ماستر/ تاريخ الوطن العربيّ المعاصر**

**د. حسين محمد الشريف**

**اليقظة العربيّة والوحدة العربيّة**

بعدما تطرقنا في آخر حصّة إلى التنافس الأوروبي على الوطن العربيّ وتآمره عليه وعلى أوّل تجربة للوحدة العربيّة التي قام بها محمد علي باشا، دولة عربيّة واحدة ضمّت مصر والحجاز والسودان وبلاد الشام، دولة فتيّة قويّة كان لها الأثر الكبير في اليقظة العربية والوحدة العربيّة فيما بعد وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذه المحاضرة اليوم.

1. **عوامل اليقظة:** تتابع الأحداث في البلدان العربيّة منذ القرن 19 م إلى التنبه الفكريّ وظهور الشعور القوميّ عند العرب، إذ بدأوا يحسون بضعف الدولة العثمانيّة وفساد إدارتها وعجزها عن الدفاع عن البلاد العربيّة أمام المطامع الاستعمارية، الأمر الذي دعى العرب إلى أن يفكروا في مستقبلهم والإعتماد على أنفسهم، وكان من هذه الأحداث: 1- الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابارت على مصر وبلاد الشام، وما نقلته من أفكار الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان وما أتاحته من صلة بين الشرق والغرب الأمر الذي أدى إلى تسلل الكثير من النظم والأساليب الأوروبية إلى البلاد العربيّة.

2- حكم محمد علي باشا واصلاحاته في مصر التي شملت مختلف نواحي الحياة لاسيما افتتاح المدارس وارسال البعثات العلميّة إلى الخارج ومحاولته تأسيس دولة عربيّة كبرى كما سبق الاشارة إلى ذلك في المحاضرة السابقة.

3- الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية (منذ القرن 17) والإرساليات البروتستانتية (منذ القرن 19) وقد افتتحت هذه البعثات المدارس وألّفت الجمعيات الثقافيّة وترجمت الكتب وطبعتها بالمطابع التي أدخلتها إلى البلاد العربيّة مما ساعد على العناية باللّغة العربيّة ونشر الثقافة ودفع الحركة العلميّة إلى الأمام.

4- تغلغل التأثيرات الثقافيّة بين العرب والأتراك على حدّ سواء، وتشجيع هذه التأثيرات ليقظة الوعي القوميّ لدى الأمّتين ممى أدى بكلّ من العرب والأتراك إلى التمسك بقوميتهما، وقد حاول الأتراك الطورانيون "جماعة الإتحاد والترقي" تشديد قبضتهم على البلاد العربيّة وتتريك العرب وغيرهم من القوميات القاطنة بالدولة العثمانيّة.

5- إقدام الدولة العثمانيّة على تطبيق سياسة التتريك في وقت شعر فيه العرب بشخصيتهم ونما شعورهم القوميّ بفضل اليقظة العربيّة فكان لعمل الأتراك هذا ردّ فعل عكسيّ عند العرب اذ دفع بالوعي القوميّ العربيّ إلى الأمام.

الطباعة التي لها كان شأن كبير في تطور الافكار نحو الوعي القومي العربي ونشر العلم والمعرفة وجعلها في متناول الجميع، حيث تكاثرت الكتب المطبوعة في القرن 19م ولا سيما في أواخره، وطبعت مخطوطات كثيرة من التراث العربي القديم في المطابع الأجنبية كليدن وليبزيغ بألمانيا، ولندن وباريس والقاهرة ولبنان والعراق، وكان للمستشرقين فضل في ذلك، وقد نشطت الطباعة في لبنان ومصر والعراق وقامت المطابع التجارية الآلية التي اخذت تطبع آلاف النسخ للكتاب الواحد من الكتب الحديثة والمخطوطات القديمة فساعد ذلك على الإحياء الأدبي والقومي على نطاق واسع.

7- التعليم والمدارس: أهمل العثمانيون التعليم في البلاد العربية فانتشرت الأمّية بشكل واسع، وما أنشاته الدولة من مدارس في عهدها كان التعليم فيها باللغة العثمانية وكانت الغاية منه او من هذه المدارس تخريج ماتحتاج اليه الدولة من موظفين وعلى نطاق ضيق، وفي نفس الوقت كانت هناك مدارس عربية تقوم بمهمة التعليم في البلاد العربية ويمكن تقسيما الى قسمين وهي:

**المدارس القديمة:** وتشمل الكتاتيب لتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القران الكريم والمدارس الطائفية التي تشبه الكتاتيب في تعليمها، وحلقات المساجد الكبرى وتدرس علوم الدين وعلوم اللّغة وأشهرها الأزهر الشريف في القاهرة والزيتونة في تونس والقرويين في فاس والجامع الأموي في دمشق، والنجف في العراق وزاوية الجغبوب في ليبيا، وقد حفظت هذه المدارس اللغة العربية من الانحطاط الى مستوى العالمية وأخرجت بعض العلماء الذين ساهموا في اليقظة العربية أمثال: الميداني والنابلسي في دمشق، وعبد الرحمن الكواكبي والطباخ في حلب والجبرتي ومحمد عبده في مصر وآل الألوسي في العراق...

**المدارس الحديثة:** وكانت على أنواع منها التبشيرية الأجنبية والمداس الأهلية والمدارس الرسمية وانتشرت هذه المدارس منذ مطلع القرن 19م في مختلف أقطار الوطن العربي، ففي لبنان كانت المدارس التبشيرية أبرز هد المدارس ومنها كلية " غزير للإرسالية الكاثوليكية" وأصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية، أما المدارس والكليات الأهلية فاهمها مدرسة "زغرتا" و"عين ورقة" اللتان انشاتهما الطائفة المارونية، وكانتا تعنيان بتدريس الأدب العربيّ وتخرج منها أدباء كثيرون من أشهرهم ناشيف البازجي وبطرس البستاني الدي أسس بدوره" المدرسة الوطنية " التي لك يمن يضاهيها رقيا سوى مدرسة "الحكمة" للمطران يوسف الدبس.

وهناك الكلية العثمانية الإسلامية التي تولى ادارتها نخبة من أدباء بيروت وعلى راسهم الشيخ عباس الازهري وكانت عاملا من أقوى عوامل النهضة العربية.

أما في سوريا فقد ظهرت النهضة التعليمية في بادئ الأمر امتدادا لنهضة مصر بفضل إبراهيم باشا الذي فتح فيها المدارس الابتدائية والثانوية على غرار المدارس المصرية، غير أنها ما لبثت ان خطت خطوات سريعة بجهود المواطنين الذين اندفعوا الى تأسيس المدارس الأهلية حتى إذا تولى المصلح العثماني مدحت باشا عام 1878م ولاية الشام ألف مجلسا للمعارف كان لنائب رئيسه الشيخ طاهر الجزائري"مفتش المعارف آنذاك" الفضل الأكبر في الإكثار من المدارس الحكومية بعد أن أقنع مدحت باشا بوجوب منافسة الارساليات الأجنبية التي امتد نشاطا الى شوريا في انشاء المدارس.

وفي العراق: قامت النهضة على أكتاف مدارس الحكومة ومدارس الطوائف الوطنية إلى جانب المدارس التبشيرية التي كانت في العراق أقل شانا ممّا في لبنان وسوريا واقتصرت على وجود الاباء الكرمليين والدومينيكيين.

وأما في مصر فقد رأينا في مقياس مدخل الى تاريخ المشرق العربي"1798-1920م" تجربة محمد علي الإصلاحية وجهوده في حقل التعليم،وقد عمل خلفاؤه على تحقيق مشروع التعليم القومي بالتوسع في إنشاء المدارس لجعله عامّا يشمل جميع طبقات الشعب وتجلت نهضة التعليم بوجه خاص في ديوان المدارس لتنظيم شؤون التعليم، وفي ضخامة البعثات العلمية الموفدة الى الخارج ولا سيما في عهد الخديوي إسماعيل، مما جعل مصر أول منارة يستضيء بها أحرار العرب الهاربين من استبداد جماعة الاتحاد والترقي واول ملجأ ينشدون فيه الحرية والأمان.

8- الأدباء والمفكرون والمصلحون: لقد نجم عن ازدهار الحركة التعليميّة الحديثة الأهليّة ظهور الكتب والمؤلفات في اللّغة وآدابها والمعاجم وظهور جماعة من الكتاب والمفكرين الذين عملوا على احياء التراث العربيّ ونشر العلم وتنبيه الأفكار ودعوا إلى إصلاح المجتمع. ومن أعم من عمل في الإحياء الأدبيّ ونشر التعليم نذكر: ناصف اليازجي 1871م هو من بيت علم وأدب في لبنان وقد بدأ يتلقى الطب عن أبيه ثم مال إلى الأدب واشتهر شاعرا وكاتبا. وكانت جهوده منصبة على خدمة اللّغة العربية وآدابها منقبا عن عن كنوزها الأدبيّة والعلميّة القديمة التي عثر عليها بشكل مخطوطات في مكتبات الأديرة. فقام بدراساتها دراسة دقيقة ووصل منها إلى روائع الأدب العربي الذي كان مجهولا فأحياه وبعث بواسطته أمجاده الخالدة وأسهم في ايقاظ الوجدان العربيّ والمفاخر العربيّة وأظهرها أمام الناشئين بلغة صافية سلسة. وكان لصفاء أسلوبه وجمال تعبيره الذي امتازت به كتبه المدرسيّة في النحو والبلاغة والعروض الفضل الكبير في عشق الشبان والشابات لينابيع المعرفة التي أمدهم بها.

هذا بالإضافة إلى جهوده في تنقية اللّغة العربية من العناصر الدخيلة وابراز قدرتها على التعبير عن منجزات التطور الاجتماعي والعلميّ الحديث. واشتهر فيما بعد ابنه ابراهيم أديبا وشاعرا.